

المحاضرة الثامنة / المرحلة الثانية

الإيجاز والإطناب والمساواة

(الإيجاز): هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل، مع وفائها بالغرض المقصود ورعاية الإبانة والإفصاح فيها.

و (الإطناب): زيادة اللفظ على المعنى لفائدة.

و (المساواة): تساوي اللفظ والمعنى، فيما لم يكن داع للإيجاز والاطناب.

كما أنه إذا لم تف العبارة بالغرض سمّي: (إخلالاً).

وإذا زاد على الغرض بدون داع سمّي: (تطويلاً)

فمثال الإيجاز، قوله تعالى: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)(١).

ومثال الاطناب، قوله تعالى: (قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى)(٢).

ومثال المساواة، قوله تعالى: (وكلّ إنسان أئتمناه طائره في عنقه...)(٣).

ومثال الإخلاء، قول اليشكري:

والعيش خير في الظلا ل النوك ممّن عاش كدّاً

أراد: أن العيش الرغد حال الحمق، أفضل من العيش النكد في ظلال العقل، وهذا إخلال.

ومثال التطويل، قول ابن مالك:

كذا إذا عاد عليه مضمّر مما به عنه مبيناً يخبر

أقسام الإيجاز

ثم إنّ الإيجاز على قسمين:

١ - إيجاز القصر، ويسمّى إيجاز البلاغة، وذلك بأن يتضمن الكلام المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف، كقوله تعالى: (وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً)(٤) فإنّ مقتضى الكرامة في كل مقام شيء، ففي مقام الإعراض: الإعراض، وفي مقام النهي: النهي، وفي مقام النصح: النصح، وهكذا.. وهكذا..

٢ - ايجاز الحذف، وذلك بأن يحذف شيء من العبارة، لا يخل بالفهم، مع وجود قرينة.
وقد حصروا الحذف في اثني عشر شيئاً:

- ١ - الحرف، قال تعالى: (ولم أك بغياً) (٥) أي: ولم أكن.
- ٢ - الإسم المضاف، قال تعالى: (وجاهدوا في الله حق جهاده) (٦) أي: في سبيل الله.
- ٣ - الاسم المضاف إليه، قال تعالى: (وأتمناها بعشر) (٧) أي: بعشر ليال.
- ٤ - الاسم الموصوف، قال تعالى: (ومن تاب وعمل صالحاً) (٨) أي: عملاً صالحاً.
- ٥ - الإسم الصفة، قال تعالى: (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) (٩) أي: مضافاً إلى رجسهم.
- ٦ - الشرط، قال تعالى: (فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (١٠) أي: فإن اتَّبَعْتُمُونِي يُحِبِّبْكُمْ.
- ٧ - جواب الشرط، قال تعالى: (ولو ترى إذ وقفوا على النار) (١١) أي: لرأيت أمراً عظيماً.
- ٨ - المسند، قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنَّ الله) (١٢) أي: خلقهنَّ الله.
- ٩ - المسند إليه، كقوله: (قال لي كيف أنت؟ قلت: عليل) أي: أنا عليل.
- ١٠ - المتعلِّق، قال تعالى: (لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ) (١٣) أي: عَمَّا يَفْعَلُونَ.
- ١١ - الجملة، قال تعالى: (كان الناس أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ) (١٤) أي: فاختلفوا.
- ١٢ - الجمل، قال تعالى: (فأرسلون، يوسف أيها الصديق) (١٥) أي: فأرسلوني إلى يوسف لأَقْصَّ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا وَأَسْتَعْبِرَهُ عَنْهَا، فَأَتَاهَا، وَقَالَ: (يوسف...).

دواعي الإيجاز

ثمَّ أنّ دواعي الإيجاز كثيرة نشير إلى بعضها:

١ - الإختصار.

٢ - تحصيل المعنى باللفظ اليسير.

٣ - تقريب الفهم.

٤ - تسهيل الحفظ.

٥ - ضيق المقام.

٦ - الضجر والسامة.

٧ - إخفاء الامر على غير السامع، وغير ذلك.

مواقع الايجاز

ثم انّ مواقع الإيجاز التي يستحسن فيها كثيرة نذكر بعضاً منها:

١ - الشكر على النعم.

٢ - الاعتذار.

٣ - الوعد.

٤ - الوعيد.

٥ - العتاب.

٦ - التوبيخ.

٧ - التعزية.

٨ - شكوى الحال.

٩ - الاستعطاف.

١٠ - أوامر الملوك ونواهيهم.

أقسام الزيادة

ينقسم الزائد على أصل المراد إلى ثلاثة أقسام:

١ - الإطناب، وهو تأدية المعنى بعبارة أكثر منه لغرض مّا، كما تقدّم.

٢ - التطويل، وهو تأدية المعنى بعبارة أكثر بلا فائدة، مع كون الزيادة في الكلام غير متعيّنة نحو قول العبادي:

وقدّدت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذباً ومينا

فإن (الكذب) و(المين) يمعنى واحد، ولا يتعيّن الزائد منها، لصلاحيّة كل منهما لذلك.

٣ - الحشو، وهو تأدية المعنى بعبارة أكثر بلا فائدة، مع كون الزيادة متعيّنة في الكلام غير مفسدة للمعنى نحو قول الشاعر:

واعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

فإنّ كلمة (قبله) زائدة لوضوح ان الامس قبل اليوم.

أقسام الإطناب

وللإطناب أقسام كثيرة:

١ - ذكر الخاص بعد العام، قال تعالى: (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى)(١٦).

٢ - ذكر العام بعد الخاص، قال تعالى: (ربّ اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات)(١٧).

٣ - توضيح الكلام المبهم بما يفسّره، قال تعالى: (وقضينا اليه ذلك الأمر إنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين)(١٨).

٤ - التوشيح، وهو أن يؤتى بمتنى يفسّره مفردان، كقوله (عليه السلام): العلم علمان: (علم الأديان وعلم الأبدان)(١٩).

٥ - التكرير وهو ذكر الجملة أو الكلمة مرّتين أو ثلاث مرّات فصاعداً، لاغراض:

أ - للتأكيد، كقوله تعالى: (كلّاً سوف تعلمون ثمّ كلّاً سوف تعلمون)(٢٠).

ب - لتناسق الكلام، فلا يضره طول الفصل، قال تعالى: (إنّي رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)(٢١) بتكرير (رأيت) لئلا يضره طول الفصل.

ج - للإستيعاب، كقوله: (ألا فادخلوا رجلاً رجلاً...).

د - لزيادة الترغيب في شيء، كالعفو في قوله تعالى: (إنّ من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنّ الله غفور رحيم)(٢٢).

هـ - لاستمالة المخاطب في قبول العظة، كقوله تعالى: (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وإنّ الآخرة هي دار القرار)(٢٣) بتكرير (يا قوم).

و - للتنويه بشأن المخاطب، كقوله: (علي رجل رجل رجل...).

ز - للترديد حثاً على شيء، كالسخاء في قوله:

قريب من الله السخيّ وأنه قريب من الخير الكثير قريب

ح - للتلذذ بذكره مكرراً، كقوله:

علي وصي علي رضي عليّ تقي عليّ نقيّ

ط - للحث على الاجتناب، كقوله: (الحية الحية أهل الدار...).

ي - لإثارة الحزن في نفسه أو المخاطب، كقوله: (أيا مقتول ماذا كان جرمك أيا مقتول...).

ك - للإرشاد إلى الخير، كقوله تعالى: (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى)(٢٤).

ل - للتحويل بالتكرير، كقوله تعالى: (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة)(٢٥).

٦ - الاعتراض، بأن يؤتى في أثناء الكلام بجملة لبيان غرض من الاغراض، منها:
أ - الدعاء، كقوله:

ان الثمانين - وبُلغتها - قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

ب - النداء، كقوله:

كان برزون أبا عصام - زيد حمار دق بالجام

ج - التنبيه على شيء، كفضيلة العلم، في قوله:

واعلم - فعلم المرء ينفعه - ان سوف يأتي كل ما قُدر

د - التنزيه، قال تعالى: (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون)(٢٦).

هـ - المبالغة في التأكيد، قال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير)(٢٧).

و - الإستعطاف، كقوله:

ووجيب قلب لو رأيت لهيبه ياجنتي لرأيت فيه جهنماً

ز - التهويل، قال تعالى: (وانه لقسم لو تعلمون عظيم)(٢٨).

٧ - الايغال، بأن يختم الكلام بما يفيد نكتة يتم بدونها المعنى، قال تعالى: (ولله يرزق من يشاء بغير حساب)(٢٩).

٨ - التذييل، وهو أن يأتي بعد الجملة الاولى بجملة أخرى تشتمل على معناها وذلك لأحد أمرين:

الأول: التأكيد، وهو إما تأكيد المنطوق، قال تعالى: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)(٣٠) وإما تأكيد المفهوم، كقوله:

ولست بمستبِقِ أخاً لاتلمَّه على شعث أي الرجال المهذب؟

فقد دلت الجملة الاولى بعدم وجود الرجل الكامل فأكدّها بالجملة الثانية: أي الرجال المهذب؟

الثاني: التذييل، وهو إما يستقل بمعناه لجريانه مجرى المثل، كقوله:

كلّمك أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة

أو لا يستقل، لعدم جريانه مجرى المثل، كقوله:

لم يبق جودك لي شيئاً أوّمله تركتني أصحاب الدينا بلا أمل

٩ - الإحتراس، وهو أن يأتي بكلام يوهم خلاف المقصود فيأتي بما يدفع الوهم، وهو على نحوين:

أ: انه قد يأتي به وسط الكلام، كقوله:

فسقى ديارك غير مفسده صوب الربيع وديمة تهمي

فقد قال: (غير مفسده) دفعاً لتوهم الدعاء للمطر عامة حتى المفسد منه.

ب: وقد يأتي به آخر الكلام، كقوله:

حليم إذا ما الحكم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب

١٠ - التتميم، وهو زيادة مفعول أو حال أو نحوهما، ليزيد حسن الكلام، كقوله:

دعونا عليهم مكرهين وإنما دعاء الفتى المختار للحق أقرب

ف (مكرهين) يزيد حسن الكلام كما لا يخفى.

١١ - تقريب الشيء المستبعد وتأكيده لدى السامع نحو قوله: (رأيتُه بعيني يفعل كذا) و(سمعته بأذني يقول كذا).

١٢ - الدلالة على الشمول والإحاطة، قال تعالى: (فخرّ عليهم السقف من فوقهم)(٣١) فإنّ السقف لا يخرّ إلا من فوق، لكن بذكره (من فوقهم) دلّ على الشمول والإحاطة.

موارد الإطناب

وهناك موارد يستحسن فيها الإطناب، منها:

١ - الصلح بين الأفراد، أو الجماعات، أو العشائر.

٢ - التهنة بالشيء.

٣ - المدح والثناء على أحد.

٤ - الذمّ والهجاء لاحد.

٥ - الوعظ والإرشاد.

٦ - الخطابة في أمر من الامور العامّة.

٧ - رسائل الولاية إلى الرؤساء والملوك.

٨ - منشورات الرؤساء إلى الشعب.

أقسام المساواة

(المساواة) هي الأصل في تأدية المعنى المراد، فلا تحتاج إلى علّة، واللازم الإتيان بها حيث لا توجد دواعي الإيجاز والإطناب، وهي على قسمين:

١ - المساواة مع رعاية الاختصار، وذلك بتأدية المراد في ألفاظ قليلة الاحرف كثيرة المعنى، نحو قوله تعالى: (هل جزاء الاحسان إلا الإحسان)(٣٢).

٢ - المساواة من دون اختصار، وذلك بتأدية المعنى المراد بلا رعاية الاختصار، نحو قوله تعالى: (كلّ امرئ بما كسب رهين)(٣٣) وقوله سبحانه: (وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله)(٣٤) ونحو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّما الاعمال بالنيّات ولكلّ امرئ ما نوى)(٣٥) فإنّ الكلام في هذه الامثلة لا يستغنى عن لفظ منه، ولو حذفنا منه ولو لفظاً واحداً لاختلّ معناه، وذلك لأنّ اللفظ فيه على قدر المعنى لا ينقص عنه ولا يزيد عليه.

خاتمة المعاني

لا يخفى أنّ كلاً من الإيجاز والإطناب والمساواة يحتاج إليها في محلّه بحيث لا يسدّ أحدها مكان الآخر، وكذا بقيّة المباحث، والمرجّح في الجميع هو الذوق السليم.

وليكن هذا آخر ما أردنا كتابته في علم المعاني، والله المستعان.

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين،
وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.